

مؤتمر لا يحتمل غير النجاح

بقلم / خليفة عثمان حامد

في الحادي والعشرين من الشهر الجاري تتجه أنظار الإرتريين، وقلوبهم مفعمة بالأمل نحو العاصمة الإثيوبية، حيث تعقد المعارضة الإرترية مؤتمرها الوطني للتغيير الديمقراطي.

لقد بلغت معاناة شعبنا اليوم ذروتها في ظل "النظام الصادئ" القائم والذي لا يرتاح له بال إلا في رؤيته وهو يعاني أكثر فأكثر ! وأبلغ دليل على ذلك موقفه من الجفاف الذي أصاب شرق القارة الأفريقية، الأمر الذي جعل الأمم المتحدة ومنظمات الإغاثة في العالم كله تدق ناقوس الخطر لإنقاذ شعوب المنطقة من خطر المجاعة. ولم تتوان حكومات دول المنطقة كلها من طلب المساعدة لمواجهة آثار تلك الكارثة الطبيعية على شعوبها. وكان النشاط هي الحكومة الإرترية التي نفت نفياً قاطعاً وجود مثل ذلك الخطر على إرتريا، مستنكرة إدراجها ضمن تلك البلدان الفقيرة والمنكوبة دوماً بالمجاعة!! ومثال آخر على طبيعة النظام هي المأساة التي روّعت العالم كله هذه الأيام والتي وقعت لشبان أفارقة يحاولون الهجرة بعد أن ضاقت عليهم أوطانهم، علّهم يجدون في المهجر حياة أفضل. وكانوا في غالبيتهم العظمى من الإرتريين الذين تحولت حياتهم في بلدهم إلى جحيم لا يطاق، ولم يجدوا طريقاً للخروج من ذلك الجحيم إلا بالمغامرة بحياتهم، كما فعل إخوان لهم من قبل. وقد وقعت المأساة، حيث وجدت جثثهم في مغارة في صحراء سيناء، بطون مبتورة سرقت أعضاؤها، مناظر تقشعر لها الأبدان. هذه المأساة التي بثتها محطات التلفزة العالمية. كانت بالنسبة للتلفزيون الإرتري حادثاً وقع لأناس مجهولين !! على الرغم من أن المشاهدين رأوا بأعينهم الصحفية التي قامت بالتحقيق في المأساة وهي تفحص بطاقات الضحايا لمعرفة هوياتهم وتكرر: إرتري.. إرتري... إرتري، وعلى الرغم من الكتابات التي ظهرت في المغارات كانت بالتقرينية!! وقد واصل تلفزيون النظام في بث برامجه المعتادة والمليئة عادةً بالأغاني والرقصات!!

ألا يجعلنا موقف النظام من هذين الحداثين المأساويين نتساءل، هل نحن أمام نيرون جديد يجد المتعة في العزف على القيثارة وروما تحترق !!؟

وفي هذه الظروف المأساوية التي تعيش فيها بلادنا، فمن الطبيعي أن يتعلق أبنائها بأية "قشة" تظهر أمامهم، وتلك القشة أو الأمل هي اليوم " المؤتمر الوطني الإرتري للتغيير الديمقراطي"، الذي لم يتبق على انعقاده سوى أيام قليلة. ثرى هل يرتفع المؤتمرون إلى المستوى الذي يحولون فيه "القشة" إلى عود صلب يصلون به بشعبهم إلى بر الأمان؟

المهمة ليست بالسهلة، ولكنها ليست بالمستحيلة.

لا أعتقد أن أحداً يمكنه أن ينكر بأن هناك جروحاً غائرة تسبب فيها هذا النظام في جسد هذا الوطن مستخدماً التناقضات الثانوية لتطبيق نظرية "فرق تسد" حتى كادت الثقة تُفقد بين مكوناته، وليجعل كذلك مكون بعينه قاعدته الاجتماعية. لقد حاول أن يوهم منتسبيه بأنه يعمل لصالحهم، وهو الذي يعمل في الحقيقة لصالح بقائه وتعزيز سلطته وإنه حسب تعبير الإعلامي صالح قاضي (جوهر) " كمن يسرق سيارتك ويستخدمها في السطو". غير أننا نلاحظ اليوم تحولاً كبيراً في الاصطفاة السياسي في الساحة الإرترية والذي يبعث على الأمل لطالما اشتكيننا في المهجر من عدم وقوف الشباب الذي جاء هرباً من جحيم النظام في صف المعارضة. ولكن هذا الشيء بدأ يتغير اليوم تماماً، فمشاركة هذا الشباب في كل من أوروبا وأمريكا وأستراليا في المظاهرات المناوئة للنظام وبكثافة غيرت المحتوى والمنظر العام للمعارضة.

لا شك بأن الملتقى الوطني للتغيير الديمقراطي الذي عقد في العام الماضي مثل تحولاً هاماً في مسيرة المعارضة الإرترية، حيث اجتمعت تحت سقفه كل ألوان طيف المعارضة الإرترية، فيما عدا من امتنع بإرادته عن حضوره. وقد كان حدثاً هاماً أن يتواجد ممثلين عن المعارضين غير المنتمين للتنظمات في مواقع الشتات وممثلين عن الشباب والمرأة، فكان بحق ملتقى جامعاً. واحتوت أجندته على القضايا الهامة التي تشغل بال المواطنين. ومع ذلك لم يخل الملتقى بالطبع من أخطاء، حاول من يدورون في فلك النظام استغلالها للنيل من مصداقيته! ويجب من جانبنا أن نقف عندها حتى لا تتكرر. وقد تركز النقد حول البيان الختامي وما اعتراه من تباين بين النسختين العربية والتقرينية. ولأن البيان هو المعبر المختصر عن حصيلة المؤتمر فمن الواجب التدقيق فيه وفي كل كلمة من كلماته والتأكيد بأنها تعني ما يراد التعبير عنه في النسختين باللغتين الرسميتين. ولأن البيان وفي كل نسخة بمختلف اللغات ملك للمؤترين بألوان طيفهم المختلفة فلا يجب من يعهد إليه كتابته أي ألا يصوغه

كما تعود أن يصوغ البيانات الموجهة إلى قواعد تنظيمه، وبما يعطي إجابات معينة تقود إلى تفسيرات، المعارضة في غنى عنها. ولذلك فإن على أعضاء المؤتمر أن يدققوا في كل فقرة وكل تعبير وكل كلمة ترد في البيان أو وثائق المؤتمر قبل إجازتها وتحولها إلى وثيقة للمؤتمر.

لا شك بأن مسؤولية كبرى تقع على المعارضة الإترية بشكل عام وعلى المؤتمر بشكل خاص، فالمطلوب من المعارضة الارتفاع إلى مستوى المسؤولية الملقاة على عاتقها، فتترك المباحكات بينها وتعمل في سبيل الهدف الأكبر. علينا جميعاً أن نعرف التعايش مع الاختلاف مادامنا مقتنعين بالهدف الاستراتيجي ونعلن نضالنا في سبيل تحقيقه، ذلك أن الصراعات بين قوى المعارضة كانت دوماً عامل إحياء في صفوف الجماهير المعارضة ونقط ضعف تواجه من يعمل جاهداً لدفعها نحو العمل الإيجابي.

كلنا أمل أن يكمل المؤتمر بنجاح ويفتح عهداً جديداً للنضال الذي يخوضه شعبنا من أجل الديمقراطية ومن أن أجل أن يعيش حياة كريمة على أرضه، تضع النهاية لمآسي أبناء وطننا، كتلك التي شاهدها العالم في سبيلنا وكذلك في قوارب الموت في البحر المتوسط.